

أوائل الأوائل

كل أمة لها نظرتها وكل شاب له نظرتة، فإما أن تكون تلك النظرة سطحية لا قيمة لها أو عميقة ذات قيمة عالية ومدلول قوي، والمتتبع لأحوال العالم يجد شواغل كثيرة تلفت انتباه الناس، يمكن أن يقيس عليها ما يسود العالم والأمم من مفاهيم ولعل كتاب "جينيس" للأرقام القياسية يمكن أن يكون هو بذاته مقياساً للعالم واهتماماته ليغيب على تساؤل هام، ألا وهو هل أصبح العالم سطحي النظرة أم أن إهتماماته كبيرة؟، ولو نظرنا لما في كتاب "جينيس" للأرقام القياسية لوجدنا على سبيل المثال لا الحصر، أطول شارب في العالم، أطول (ساندوتش) في العالم، أكبر جنبه في العالم، أفخم سيارة في العالم، أغلى تحفة في

العالم، أطول أظافر في العالم، أكثر الرجال بقاء بلا نوم، أو أطول معزوفة موسيقية، أو أكثر الرجال بقي مدة طويلة بلا استحمام، إلى غير ذلك من المقاييس المختلفة، والتي تظهر مدى سطحية ما تسجله كتب الأرقام القياسية العالمية وتسجل معها تفاهتها في كثير من الأحيان.

ولعلي أنقل القارئ لنوع من الكتب القياسية التي عرفت في تاريخنا الإسلامي وتسمى عندنا "كتب الأوائل"^(٢٨) لنرى الفرق بين ما كنا عليه من تفكير، وما عليه العالم المعاصر من تفكير والذي أخشى أن نكون تبعناه أو تعديناه أحياناً في الانحدار والسطحية، فمن هذه الكتب المعروفة في التراث كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري، ففيه يذكر على سبيل المثال، أول من أسلم من الرجال، أول شهيد في الإسلام، أول أمير على مكة، أول من نقط المصحف، أول كريم أطعم على ألف مائدة، أول من ضرب باب القسطنطينية من الفاتحين، أول من صلى وراء النهر من المسلمين، أول قاض في الإسلام، أول من سمي وزيراً، أول من صنف في الفقه، أول من ألف في العروض، أول من هاجرت إلى المدينة، أول من نظر في الطب، أول من عمل الصابون، أول من عمل القراطيس، أول من ركب الخيل، أول من أجرى المال على

(٢٨) انظر: الأوائل، أبو هلال العسكري.

العميان، إلى غير ذلك من الأمثلة المختلفة في هذا الكتاب والتي تدل على مدى الفرق بين ما كتبناه في الأوائل وبين ما دونه (جينيس) وغيره في الأرقام القياسية وما زال يدونه، فيا ترى لو رأى أبو هلال العسكري ما كتبه (جينيس) فهل يبكي أم يضحك، ولو عاش في عصرنا وأخرج لنا كتاباً في الأرقام القياسية فماذا سيكتب؟.

إنها الأمم والعقليات تختلف من أمة لأمة ومن عصر لعصر، ويا ليت عصر أبي هلال، ويا ليت عز زمانه بدلاً من (جينيس) وزمانه وأرقامه، التي يتمنى بعضنا - مع الأسف - أن يدرج فيها ولعل كثير منا يمكن أن يدرج في أطول الناس نوماً أو أغباهم لو أدرج، والله المستعان.

